

التفسير المختصر - سورة هود (١١) - الدرس (٦-٦) : تفسير الآيات ١١٩-١٢٣ ، القصة في القرآن - عبادة الله والتوكيل عليه  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٢-١٠-١٩٩٤

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:  
أيتها الأخوة الكرام:

الآيات الأخيرة، ولا سيما الآية العشرون بعد المائة، والآية الثالثة والعشرين بعد المائة من سورة هود، وهي قوله تعالى:

﴿وَكُلَا نَصْصًّا عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نَثَبَتْ بِهِ فُؤَادُكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٠)

أيها الأخوة: هذه الآية أولاً تدل على أن أنجع وسيلة في التربية القصة، القصة الواقعية، والقصة المتعلقة بالبطولات والإيجابيات، قد تقرأ قصة لكاتب معاصر، يصور لك فيها الإنسان في أحط مستوياته، في نوازعه الدنيا، في مشاعره الرخيصة، في دناءته يصور لك المجتمع في تفككه، يقول لك هذه قصة واقعية، تماماً كمن ينقب في القمامات، ماذا سيجد؟ كل شيء يدع إلى الشائز.

لكن إذا رویت للناس قصص الصالحة، الصالحين، الأبطال القدّاد، الفاتحين، المؤمنين، الصادقين، الصدقيين، هؤلاء يرفعون في نفسك معنويات عالية.

﴿وَكُلَا نَصْصًّا عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نَثَبَتْ بِهِ فُؤَادُكَ﴾

يعني أنت كأب إذا أردت أن توجه أبنائك التوجيه الصحيح، احرص على أن تسمعهم قصة واقعية ترتبط فيها النتيجة بالمقدمة، أن هذا الإنسان فعل كذا وهذه هي النتيجة، اغتصب أموال الناس بالباطل دمر الله أمواله استقام على أمر الله أكرمه الله، كلما ربط المقدمة بالنتيجة ربط منطقى، وفي عدالة، وفي رحمة، تكون هذه القصة أسعد في نفس المستمع.

لذلك كأب، وكمربي، وكمعلم وكداعية، يجب أن تستخدم الأسلوب التربوي الذي استخدمه القرآن الكريم مع النبي، أراد الله سبحانه وتعالى أن يثبت قلب النبي ماذا قال له؟

﴿وَكُلَا نَصْصًّا عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نَثَبَتْ بِهِ فُؤَادُكَ﴾

فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يثبت فؤاده بقصص الأنبياء، والصالحين، فنحن من باب أولى أننا إذا قرأتنا قصة النبي عليه الصلاة والسلام ترکوا نفوسنا، وتشتتب أنفاسنا إلى هذا المقام الرفيع.

لذلك أيها الأخوة تعد هذه الآية، أحد الأدلة الكافية على أن تحتفل بعيد مولد النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿وَكُلَا نَفْسًا عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِاءِ الرَّسُولِ مَا تَنْبَتُ بِهِ فُؤَادُكُمْ﴾

يعني ماذا فعلت إذا جمعت الناس في بيتك وأسمعتمهم شيئاً من شمائل النبي، وأخلاقه، وسيرة النبي وموافقه، ثم أطعمنتم الطعام، هذا الاحتفال، عند هذا الحد لا شيء عليه أبداً، بل هو محض طاعة الله عز وجل، محض الانتمار بأمر الله، محض الانسجام مع توجيهات الله عز وجل، ماذا قال عز وجل:

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ (٦٩)

(سورة المؤمنون: ٦٩)

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾

محض على أن نعرف رسولنا لأنّه قدوة لنا.  
شيء آخر.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ﴾

أسمعوا الآية:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ﴾

أن تفعلوا هذا الشيء.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مُثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾

(سورة سباء: ٤٦)

يعني أنت مفروض فيك كمسلم تتفحص هذا الدين، تقرأ القرآن، تقرأ السنة، تدلّي برأيك بهذا الدين، إما أنه حق تتبناه، أو أنه في أخطاء ترفضه، أما ما لك علاقة لا سلباً، ولا إيجاباً، هذا موقف في غباء.

إنسان جاءته رسالة أخيها الأخوة: بربكم ماذا تحكمون عليه لو أنه مزقها قبل أن يقرأها؟ اقرأها وبعد ذلك مزقها، فالإنسان له حق يرفض شيء قبل أن يطلع عليه.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مُثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾

إذاً ممكن أن يكون الأسلوب التربوي أنجع أسلوب في تعليم الأبناء، وفي تعليم الكبار، وفي الدعوة إلى الله، وفي إرشاد الناس وفي تربية الطلاب، يقوم بها المعلم، والأب، والمربي، والداعية والخطيب، وأي إنسان آخر.

القصة شيء ثمين، ببساطة لأنها حقيقة مع البرهان عليها، لو حدثتنا بالمثل المجردة، ماذا يقال لك؟ أخي هي كلها مثاليات، أما إذا جئت بقصة فيها بطولة، هي مثالية لكنها واقعة، هذا ما يسمى بالمثالية الواقعية، هذه الآية الأولى الآية الأخيرة:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبِّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٣)

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

وهذه الآية من أدق الآيات في كتاب الله.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ﴾

يعني ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن أمرك كلها بيده، لو أن أمرك بيد غير الله عزوجل، كيف يأمرك أن تعبده؟ معك الحجة، يا رب أنا بدبي اعبد فلان لأنه مصيري بيده، حياتي بيده، رزقي بيده، إذا غضب عليّ يقطع رزقي، إذا غضب عليّ يقتلني، كيف أعبدك يا رب وحدك لكن الله طمأنك.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

ولو قال لك إليه يرجع الأمر يعني كل الأمر، لكن كل توكيده.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

المعنى واضح كلها، كل أنواع الأمر، أمر صحتك، أمر أعدائك، أمر أقوى منك أمر أضعف منك، أمر دخلك، رزقك، أمر من حولك، من فوقك من دونك.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

ولو أن الله ملكك إلى أحد خلقه، لا يستحق أن يعبد، ولو أن الله ملكك إلى أحد خلقه، قال لك:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ﴾

لذلك الإنسان ما يرتاح حتى يوجد، إذا وحد علاقته مع جهة واحدة، اعمل لوجه واحد يكافىلوجوه كلها، من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله الهموم كلها.

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ بِنَاصِيَّهَا إِنَّ رَبَّيْ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾

(سورة هود: ٥٦)

ضع هذه الحقيقة بذهنك، لما ربنا عزوجل يجعل أمرك بيده غير ذاته، كيف يقول لك اعبدني يا عبدي؟ الله قال لك:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ﴾

إذاً نحن نعبد لأننا بيده، ولأننا في قبضته، ولأن أمرنا كلها بيده، ولأن مصيرنا إليه، ولأننا راجعون إليه، ولأن حياتنا بيده وأعضائنا بيده، وحواسينا بيده، وعقلنا بيده، وزوجتنا بيده، وأولادنا بيده، ورزقنا بيده، ونجاحنا في الدنيا بيده، وإخفاقنا بيده، هو المعز وهو المذل، وهو الرافع، وهو الخافض، وهو القاپض، وهو الباسط وهو بكل شيء عليم.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

كل ما واجهة مشكلة، في قضية شخص أقوى منك عما يهدلك طريق مسدود، تذكر هذه الآية.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ﴾

إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله، أوثق منك بما في يديك، إذا أردت أن تكون أكرم الناس فتقى الله.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانُكُمْ﴾

( سورة الحجرات: ١٣ )

**والحمد لله رب العالمين**

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تتها وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

**والحمد لله رب العالمين**